سـلوم سركيس : **المآسي المعاصرة والمصير العربي** ،
(بالفرنسية والعربية) ، مكتبة لبنان ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيروت ١٩٧٣ .

« هذا الكتاب ثمرة تأملات في سبل الحرية وما يعترض اليوم حياة الانسانية وحياة الامة ... »

« ... ويدرك القارىء معزتنا لفلسطين اذا علم اننا عشنا فيها طويلا . وعندما أتكلم عن فلسطين لا يسمعني ان أفكر الا بالفلسطينيين وهم أغلى بكثير من القدس والاماكن المقدسة . فهل شهدت اقذر من هذا التعنف الذي ينادي بتدويل القدس ويتناسى شعب فلسطين وقد حرم من كل حق ؟ ان الراغبين في الاطلاع والقادرين على الفهم لا أدلهم على شيء مثل ما أدلهم على تاريخ الجحيم الفلسطيني ، لان الغزاة في هذا القرن شر بما لا يقاس ممن سبقهم من الغزاة الصليبيين لانهم اكثر « تمدنا » . فاليوم ، كما كان فيما غبر ، يتذرع المفسدون بالتعصب « الديني » . فهل يرتاب احد في العاقبة ؟ ستأتي ساعة ، كما حدث فيما سلف ، لا يفيد فيها الاثم ويعود الفلسطيني الى ارضه . ولكن ربما لن يكون ذلك آخر العذاب ، لان الجحيم الفلسطيني ليس الا واحدة من مآسي هذا القرن ومن ابلغ ما نرى من دلائل على تعفن القيم .. ومن ثم كان عنوان هذا الكتاب » .

بهذه الكلمات القليلة والمعبرة يحاول المؤلف — وهو كاهن كاثوليكي مارس التعليم فترة طويلة من الزمن ثم انصرف في النهاية الى التأمل والتأليف — ان يلخص او بالاحرى ان يضعنا في جو كتابه الخاص الثائر على كل ما هو امتهان لكرامة الانسان وحريته في كل زمان ومكان وبشكل خاص في ارض فلسطين . ان هذا الكتاب هو بالدرجة الاولى « شهادة ارضاء للضمير » وصرخة مدوية يرفعها المؤلف لان « اقدس القيم (بما فيها العروبة) ممتهنة ملوثة يتجر بها لصالح قيم يسمونها جديدة ويعتبرونها اصيلة ، ونرى ان السكوت في هذا الحال معناه الرضى » .

ويتوزع هذا الكتاب في اربعة فصول ثلاثة يغلب فيها النقد والاخير يغلب فيه التساؤل: اما الظواهر التي يتركز عليها فكر المؤلف فهي ثلاث : واقع الحضارة والثقافة ثم الازمة الدينية واخيرا المعضلة الفلسطينية .

اما وحدة الموضوع فتقوم ، في رأي المؤلف ، في ان ليس لنا ، على المستوى القومي ، الا قيمتان أصيلتان : الدين الاخلاقي والحرية السياسية . اما العالم المعاصر الذي يسعى الى تحطيمنا فلا يعترف الا بقيمة واحدة هي المال ...

الا ان الذي يستوقفنا في هذا الكتاب هنا هو الفصل المخصص للقضية الفلسطينية والذي وضعه المؤلف بعنوان : ابن البغضاء : اسرائيل . ويمكن ان تلخص الافكار الاساسية التي عولجت في هذا الباب كما يلي : السامي واليهودي والصهيوني والاسرائيلي ، مناقضة اليهودي ظاهرة غريبة ، الصهيونية وليدة التعصب ، الصهيونية غمست اليهودية في السياسة ، الخطأ في انشاء دولة اسرائيل ، عار الذين يرون في دولة اسرائيل بعدا دينيا ، حبوط اسرائيل وتناقضاتها ، المأساة الفلسطينية وابعادها العربية والعالمية ، المصالح الاجنبية وأزمة العالم المعاصر ، الناحية القدسية في القضية الفلسطينية ، وجهها الثوري ، دولة فلسطين العلمانية الديمقراطية ، الابعاد الانسانية في الواقع الفلسطيني ، جوهر المقاوم الفلسطيني ورسالته على مستوى الحقوق .

طبعا ان التوقف بالتفصيل أمام كل فكرة من هذه الافكار يحتاج منا حيزا مكانيا واسعا خاصة وان المؤلف يلجأ هنا الى اسلوب في التعبير خاص به وبمنهجه الصارم والمتشدد والمكتسب من خلال تجربته الطويلة في تعليم الفلسفة والمنطق والعلوم الانسانية الاخرى اي بعبارة اخرى الى اسلوب التعبير عن اكبر قدر ممكن من الافكار بأقل قدر ممكن من الالفاظ . والمقولة الاساسية والمركزية والتي تدور حولها معظم الافكار في القسم الاول من هذا الفصل هي الصهيونية وحقيقتها ومضامينها وابعادها ومضاعفاتها .

ينطلق المؤلف من نجاح احد الصحفيين الفرنسيين في اجراء لقاء خلال اربع وعشرين ساعة امام التلفزيون الفرنسي بين صحفي مصري وصحفي اسرائيلي وأعلن ذلك حدثا تاريخيا لم يشهد منذ ثلاث وعشرين سنة وحيا في ذلك بشائر السلام ...